آكت لحل النزاعات
Conflict Resolution

مجلة الوساطة و التحكيم

العدد الثالث

الوساطة والهوية الثقافية الاجتماعية بين الأنا والآخر

إسرار سالمي

2023

أنا أم الآخر؟

من أنا؟

من هو الآخر؟

وهل يمكن إيجاد طرف ثالث ووسيط بينهما؟

تساؤلات مثلت رحلة البحث في جدلية الأنا ومدى تعلقها وإرتباطها وانفصالها عن الآخر، رحلة حاول الأولون والفلاسفة والباحثون التعمق فيها سعيا لتحديد هوية وكينونة الذات الإنسانية وتجذرها في الوجود.

ومن هنا بات من الضروري إبراز مشوار الصراعات التي تعيشها الأنا مع ذاتها، "فالأنا النفس" هي المكون الانفعالي والعاطفي والشعوري الحسي للكائن في حين أن "الأنا الذات" هي الكيان العام الوجودي الذي يجعل إدراك الماهية رهن الأنا في علاقتها مع الآخر. فإن لم تتصالح وتعتدل الأنا نفسيا بادئا مع الهو الذي يشغل لاواعيها ومع الأنا الأعلى الذي يراقب ويضبط السلوك في الشخصية فلن يتعزز دور الذات في استقرار الأنا من حيث أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية وعليه تتحد الأنا النفس مع الأنا الذات وتعترف آليا بالآخر والغير الذي به يتحقق الوجود الإنساني القائم على ضرورة قبول الآخر كإثبات لوجود الأنا ويكون التواصل الأخلاقي هو الوسيط الذي يضع حدا للعلاقة العدائية بين الأنا والآخر ويتحول الصراع إلى مشاركة بين الطرفين.

الوسيط إن لم يتحرر من الأنا ويتماهى مع الغير ككيان متكامل لن يتمكن من أن يدق باب فض النزاع بين طرفين والمعنى تحرر الأنا وتناغمها مع ذاتها التي تجعله يقبل الآخر هو عمق ما تصبو إليه الوساطة كرسالة إنسانية تكون فيها الأنا مرآة للآخر.

والتعمق في الهوية الإنسانية بين لنا تطور علاقة الأنا بالآخر بما يتخللها من صراعات نابعة من اختلاف جذري في العلاقات الإجتماعية والثقافية والسياسية والإقتصادية والدينية تقرب الآنية بالغيرية أو تبعدها عنها أو تقصيها تماما من علاقة معرفة إلى علاقة وجود.

هذا الصراع على التواجد والتواصل والتصالح هو أساسا وليد الموروث الثقافي الإجتماعي للذات وللآخر باختلاف الإيديولوجيات والقيم الإنسانية على حد السواء.

وبما أن العلاقات تقوم أساسا على التغاير لا التمازج وفقا لتغير المصالح ورؤية الأنا المتعالية والكاملة والفاضلة للآخر الناقص والنسبي، نلمس أن ثنائية الأنا والآخر أعمق من أن تفهم رغم ظاهرها البسيط إلا

أن تفكيك هذه الأخيرة ومحاولة إيجاد مصطلح تفسيري واضح أمر غير هين بالمرة سيما وأن الثقافات متغيرة ومتلونة في طابعها وجذورها وأسسها.

من هنا خيط اليقين يكمن في أن إستيعاب الأنا رغم انانيتها لوجود الآخر في تحقيق التواصل الفعلي في هذا العالم ناتج أساسا من استيعابها لذلك الموروث الثقافي الذي تتداخل فيه مجموعة من الأفكار والروايات والتراث والدين فتتقلص الهوة الحضارية التاريخية ويتجذر مصطلح المحاولة لتفادي ما يسمى بغربة الأنا عن الآخر ، ومن هنا تكون الفكرة السائدة بالقول بأن الأنا و الأخر جزء من تشكيلة اجتماعية و دينية وثقافية واحدة غير صحيحة، فالثقافات متغيرة ومتجددة والروابط الإجتماعية غير ثابتة بل تتلون حسب الصفة التشاركية بين الأفراد ومن هنا نقر بكون جدلية الكينونة و إثبات مغزاها و معانيها أمر متعلق بمدى قبول الأنا للآخر و تجاوز هذه الهوة والاعتراف بأن إنسانية الإنسان لا تكون بمعزل عن إتحاد الأنا بالغيرية رغم الخلافات فالبشرية بنيت أساسا انطلاقا من هذا الإختلاف الفكري الجسدي الثقافي الإجتماعي بل إن ثنائية مفاهيم الصراع والتفاهم و العداء و التآخي و التجاهل

والاعتراف والتواجد والإقصاء هي التي جعلت آليات فض هذا النزاع تتطور بتطور العلوم الإنسانية على مر العصور.

فبعد أن كان الأمر يحل بصفة تلقائية بسيطة وفق العائلة أو المجتمع الواحد أصبحت هناك آليات إجتماعية أخرى وأبرزها آلية الوساطة وما يميزها عن بقية الآليات محاولتها الحفاظ على العلاقات الإنسانية بين الأنا والآخر مع ثبات القيم الأخلاقية نافية بذلك مبدأ الإقصاء والتعالي والإنفصال الذين رافقوا رحلة الأنا مع الآخر عبر التاريخ.

فالمجتمعات الأولية كانت تستمع للأقوى والأنفذ والحوار كان أحادي ومعلن يزرع مشاعر القهر والظلم ولا يتيح مساحة متساوية لعرض أسباب الخلاف والحلول كانت تصاغ حسب المصلحة العليا للأعلى، في حين أن الوساطة تعالت بمسارها المهيكل وقواعدها ومبادئها الإنسانية من قيم النزاهة والحياد والسرية وقربت الأفكار بين الأطراف بكل إحترام ورقي وزرعت الصبغة التشاركية في فض النزاع.

فهذه الصفة الإجتماعية للوساطة هي نابعة من مبادئ هذه الآلية في المحافظة على الجانب الإنساني مراعية الأنا والآخر على حد السواء فحققت بذلك توازنا لم تعرفه الآنية والغيرية منذ عصور، حيث حققت في جانب ما نوعا من القيمة الثابتة بأن شرخت فكرة التعالي حتى وإن لم ينبع من طرفي النزاع حل يرضي

الذات والآخر ولكن المهم هي أنها آليا رفعت هذا التحدي وهذا الجدال الكوني بين الأنا والآخر وأكدت في أسسها وقواعدها على ضرورة جعل الآنية والغيرية يلتقيان على هرم وسلم واحد.

وهنا أشير إلى مفهوم الوساطة الخلاقة «La Médiation créatrice " والتي تهدف إلى إنشاء روابط جديدة بين الأشخاص والمجموعات.

فالإشكاليات التي طرحت في علاقة الأنا بالآخر وفي إثبات الذات و الإعتراف بالآخر كجزء أساسي لا ثانوي في بناء العلاقات الإنسانية و في فرض مبدأ الإحترام بين هذه الثنائية طبعت على آلية الوساطة طابع الأنا المحترمة للآخر المعترفة بوجوده و القبول الفعلي بأن الأنا لا تكون بمعزل عن الآخر و أن الآخر متجذر فيه لامحال.

ولكن إلى أي مدى يمكن للوساطة أن تنجح في تحقيق هذه المعادلة؟

فهل أن إيجاد حلول نابعة من الطرفين كفيلة لوحدها أن تعزز الثقة من جديد بين الأنا والآخر؟

وهل أن تحقيق الثقة من جديد بين طرفي النزاع هو من أهداف آلية الوساطة؟

وهل أن غياب الحلول بين طرفي النزاع ينفي هذه الصفة الإجتماعية الإنسانية في آلية الوساطة؟

الشئ الثابت لدينا أنه وإن وجد حل أم لم يوجد فإن الأنا والآخر تقابلا في موقع ما ولهدف إجتماعي إنساني واحد أساسه علوية القيمة الإنسانية بين الأطراف وهذا ما يجعل من آلية الوساطة آلية نجحت في توحيد الآنية والغيرية من حيث المبدأ الإنساني ولا من حيث النتيجة المنتظرة من هذا الصراع الكينوني لأن آلية الوساطة انبثقت من فكرة احترام الذات الإنسانية ومحاولة المحافظة على قيمها ومبادئها وعلاقاتها.

فآلية الوساطة أرست مفهوم جديد للأنا والآخر قائم على تجاوز الصراع بالإنصات والحوار والتسامح والاحترام المتبادل، لأن الآخر يماثلنا في الكينونة البشرية كما أن الوجود الفردي والبشري والاجتماعي والثقافي والعلمي يستلزم حضور الغير لتحقيق التكامل بحيث يمكن للانا أن ينفتح على الآخر ليتعرف عليه وكما يقول سارتر: "الأنا لا يتحقق كذات إلا بتوسط الغير." لذا "كان وجود الغير واسطة وظهوره يجعلني أنظر إلى نفسي كموضوع فأنا في حاجة إلى غيري و أنا أتعرف على نفسي كما يراني غيري فالوجود لذاته

يرتبط بالوجود للغير فهما شكلان لا ينفصلان من الوجود"[1]، فالوجود يقضي أن الماهية الإنسانية هي مسؤولية الإنسان على ذاته وعلى الآخر.

كما أكد دوركايم في مؤلفه " حول تقسيم العمل الاجتماعي" أن الأنا لا تحقق ذاتها بمعزل عن الآخر ووجودهما مرتبط بمدى تواصلهما الناجع في هذا العالم، مضيفا أن المجتمع هو مصدر كل سلطة أخلاقية، إذ يقول: "أن المجتمع هو النموذج والمصدر لكل سلطة أخلاقية"، وحدد أخلاقية الفعل من خلال السمو عن الغايات الذاتية والتفاني من أجل المجتمع، فيقول:" إن المرء لا يسلك سلوكاً أخلاقياً إلا حين يستهدف غايات تسمو على الغايات الفردية، وحين يتفانى من أجل كائن ارفع منه ومن كل ما عداه من الأفراد".

ومن هنا نفهم أن الضمير الإنساني عندما يتكلم فهو يتكلم من الأنا لفهم الآخر والغوص فيه والانطلاق منه وعبره نحو إرساء قيم اجتماعية ثابتة.

ومن البديهي التسليم أن آلية الوساطة أعادت إلى حركة الحياة طابعها القائم على المواجهة البناءة فوق أرضية لقاء وتبادل رسخ أفقا جديدا في علاقة الذات بالآخر كالوساطة العلاجية أو ما يعرف بالتثقيف العلاجي أو الوساطة الموسيقية.

فالوساطة قادرة بقواعدها أن تحرر الذات من المعالجات و العقد النفسية حيث تبحر بنا في أعماق هذه الذات فتجردها من عقدها لتعيش لحظة مصالحة مع الآخر .أفلا يجوز القول أن آلية الوساطة بتخطيها حاجز القطيعة بين الآنية و الغيرية يمكن أن تكون طريقة علاج مبتكرة في أيادي علماء النفس و أطباء علم النفس ليحتل الطبيب النفسي بدوره دور الوسيط بين الأنا الثائرة المنكسرة التي ترغب في تفكيك عقدها بطريقة سرية خوفا من المواجهة ليكون العلاج جلسات وساطة بين الطبيب المعالج و الأنا و الآخر و بالتالي يكون العلاج قائما على مواجهة فكرية روحية أساسها الثقة المتولدة من هذه الجلسات فنعود من جديد إلى ترسيخ الطابع الإنساني الإجتماعي التي ينبعث من آلية الوساطة في محاولة إحترام الأنا و جمع شملها مع الغيرية.

وبتسهيل عملية التواصل يكون التعبير عن المشاعر والآلام هينا في حضرة وسيط يحترم مبدأ النزاهة والحياد، ويتحكم في المسار بين الطرفين محافظا بصفة آلية على أهم القيم الإنسانية وهي تقريب وجهات

[1] حبيب الشاروني – فلسفة ج ب سارتر ص 164.

النظر واحترام الآنية و الغيرية على حد السواء. كما أن الطابع المرن للوساطة يضع طرفي النزاع على سلم الراحة النفسية بعيدا عن الضغوط والحدود النفسية والإجتماعية والثقافية، وهذا المسار الإرادي والتوافقي يجعل مفهوم الوساطة يتجاوز مصطلح الآلية كمصطلح قائم على قواعد وأسس ومناهج وأدوات علمية ثابتة لتحتل مركزا كونيا يلامس الهوية الإنسانية بما تحمله من تراكمات وصراعات وتوافقات نفسية واجتماعية.

فهل يمكن التسليم بأن آلية الوساطة هي جسر الثقة التي تقلدت به دور الاحتواء النفسي والإجتماعي والثقافي للأنا والآخر وطبعت طابع الإنسان في تعاطيها لخلافات طرفي النزاع.

هل أصبحت آلية الوساطة لغة الحياة؟

جميع الحقوق محفوظة لـ:
مؤسسة ACT لحل النزاعات. القدس 2023-لا يجوز نشر أي
جزء من هذا البحث، أو نقله على أي
وجه، أو بأي حال، أو بأي طريقة إلا بموافقة
مسبقة من مؤسسة ACT لحل النزاعات.

آكت لحل النزاعات
Conflict Resolution

العنوان
القدس - بيت حنينا - عمارة الحلاق
تليفون
02-2353861
البريد الالكتروني
info@actadr.org
الموقع الالكتروني
www.actadr.org

آكت لحـــل النزاعـــات
Conflict Resolution